عربة للطفولة ومسرح للاحتفالات المؤجلة

نسرين سجدية

قصتي هي قصة أحلام الطفولة التي نمت في بيت لحم، وأحلام الشباب التي تبعثرت في رام الله، أحلام نمت وتبعثرت بين مدينتين مختلفتين تماماً في عاداتهما وتقاليدهما، أحلام الطفولة التي ما زلت أذكرها حتى اليوم في مدينة بيت لحم التي ولدت وترعرعت فيها، وأحلام الشباب التي تبعثرت كثيراً في مدينة رام الله.

بيت لحم، مدينة الطفولة والصداقات الأولى، المدينة التي احتضنت ألعابنا الطفولية وعفويتنا الجميلة، مدينة مهما ابتعدت عنها بالجسد، إلا أنها ما زالت تسكنني بكل تفاصيلها. فما زلت أذكر لعبة كرة القدم التي كنت أعشقها وألعبها مع أبناء عمي هناك، والعربة التي ابتكرتها أنا وأحد أبناء عمي من باب خزانة قديم، حولناه إلى عربة بأربعة أعجال، يركبها أطفال الحي مقابل نصف شيكل، نجمعها منهم، ونشتري بها ما نحتاجه، ولم نكن حينها قد تجاوزنا الثمانية من عمرنا. وتلك المسرحيات التي كنا نؤلفها ونوزع علينا الأدوار فيها، ونقوم بالتدريبات المستمرة عليها، وما أن نصبح جاهزين حتى ندعو أمهاتنا إلى حضورها، ونشكرهن كثيراً على ذلك، ونقدم لهن الحلوى التي نشتريها من مصروفنا الذي نجمعه لهذه المناسبة. لم تستمر طويلاً هذه الأيام الجميلة التي أصبحت فيما بعد ذكريات نضحك كلما تحدثنا عنها.

علينا الانتقال إلى مدينة رام الله، هذا ما قرراه والداي، فالبيت الذي كنا نتقاسمه مع أعمامي وعائلاتهم قد بدأ يضيق علينا كلما كبرنا، فأخواي قد انتقلا إلى مرحلة الدراسة الجامعية، وبالتالي فإنهما يحتاجان إلى مكان تتوفر فيه مساحة للدراسة والخصوصية. بدأت هنا رحلة البحث عن بيت في المدينة الجديدة التي لا نعرف فيها أحد، مدينة سنبحث فيها عن بيت ومدرسة جديدين، عن أصدقاء جدد، وعن ألعاب لم نعتد على لعبها. مدينة ما أن وصلنا إليها حتى أدركنا أننا كبرنا، كبرنا جداً، فما كان مسموحاً سابقاً، أصبح غير ممكن الآن.

بدأت حياة جديدة كونت عبرها صداقات جديدة أيضاً، حتى أنهيت الثانوية العامة، وبدأت أستعد للاحتفال

الأول في هذه المدينة، وهو حفل تخرجي من المدرسة، لكن الإدارة تقرر عدم إجراء الاحتفال عقاباً لنا لأننا كنا الصف المشاغب الذي لا يستحق. فقررت أن أضاعف مجهودي في الدراسة لأحصل على معدل عالٍ، وأحتفل به مع أهلي، وبالتالي أعوض احتفال المدرسة الذي حرمت منه. لكن مرة أخرى يلغى الاحتفال، فخالي قد أصيب بمرض خطير، ومن غير الممكن الاحتفال في بيتٍ عمَّهُ الحزن، لا بأس فما زالت هناك فرصة أخرى بعد أن أتخرج من الكلية.

تخصص المحاسبة والعلوم المالية والمصرفية هو التخصص الذي أحببته، عامان من الجد والتعب قد مضيا، والاستعداد لحفل التخرج قد آن، وها أنا أحلم من جديد باحتفال يعوضني عن كل ما سبق، إلا أن ما حدث لم يكن متوقعاً، انتفاضة الأقصى قد اندلعت، والاحتفالات كلها قد ألغيت، فقررت أن أعوض نفسي باحتفال عائلي، إلا أن خالي الذي عانى مدة سنتين من المرض قد توفى في فترة تخرجي، ما جعل الحزن يخيم على جميع عائلتي، وبالتالي لم تتح لي فرصة للاحتفال بأي شكل من الأشكال، وبالتالي لم يكتب لي أن أحتفل بأي نجاح قمت بتحقيقه حتى اللحظة.

بدأت مرحلة البحث عن عمل في مجال تخصصي، إلا أن الموضوع كان أصعب مما توقعت. الوظيفة تحتاج إلى واسطة، ومن ثم إلى خبرة، وأنا لا أملك أيًّا منهما. أخيراً، وجدت عمل في شركة للدعاية والإعلان، عملت فيها في البداية مندوبة، ومن ثم انتقلت إلى العمل محاسبةً مدة عامين، وفي الوقت ذاته، كنت أقوم بإعطاء دروس تقوية فترة ما بعد الظهيرة، حتى قرر صاحب الشركة أن يقوم بالانتقال إلى مدينة طولكرم، وبالتالي إغلاق مقر الشركة الحالي. عندها بدأت مرحلة البحث عن عمل جديد أقوم به، لكن هذه المرة غيرت كل توجهي في البحث، قررت أن أعمل في مجال رياض الأطفال الذي تحمست له بعد العمل مع الأطفال فترة ما بعد الظهيرة، وإحساسي بأنني قادرة على إفادتهم، إضافة إلى رضا الأهل وتشجيعهم لي بمواصلة متابعة أطفالهم. تقدمت بطلب وظيفة في روضة عملت فيها مدة خمس سنوات، تعلمت خلالها الكثير، وتلقيت دعماً كبيراً، فأحببت جداً هذا المجال، والعمل مع

جانب من مشاركة المربية نسرين سجدية في لقاءات منتدى الطفولة المبكرة مع برنامج البحث والتطوير التربوي/مؤسسة عبد المحسن القطان، 2019.

هذه الفئة العمرية، فقررت أنا وأختي أن نؤسس روضتنا.

بدأ مشروعنا الخاص بعد اختيار المكان وتجهيزه لاستقبال الأطفال فيه. أحببنا كثيراً روضتنا وأطفالنا، وبدأنا نطور أنفسنا في هذا المجال عبر الالتحاق بدورات خاصة في الطفولة المبكرة، كمصادر الطفولة، ومؤسسة الحق في اللعب، إلى أن التحقنا ببرنامج «القطان». كل دورة حققت لي إضافة جديدة ومختلفة، إلا أن «القطان» قدمت لي شيئاً نوعياً، جعلني أغير كل نظرتي إلى دوري كمربية، وإلى الأطفال وأدوارهم، فأصبحت أنظر إلى مواضيع التعلم بشكل أشمل وأكثر اتساعاً، بدأت أركّز على أدق التفاصيل، فأصبح التعلم الذي أقدمه لأطفالي عبارة عن مشاريع متكاملة الموضوعات، أذكر منها مشروع المياه، ومشروع الكهرباء، وصولاً إلى المشروع الذي شعرت فيه بأنني بدأت أمتلك منهجية التعلم الجديدة، وهو مشروع المواصلات، وجعلني أرى الأطفال كخبراء، يمتلكون الكثير من المعرفة، وينكبّون على العمل بروح لم أعهدها من قبل، ينشغلون بحل مشكلات كالكبار ويبدعون فيها.

في مشروع المواصلات، يقرر الأطفال أن يكونوا فريق مهندسي شوارع، يختارون شعارهم ومقرهم المتخيل وأدواتهم، يجربون العمل بتلك الأدوات بشكل متخيل، يضعون قائمة بالمهمات التي سيقومون بها لإصلاح تلك الشوارع، ويقسمونها بينهم، وينطلق الفريق إلى العمل. يتعلمون خلال هذه الرحلة المتخيلة مفاهيم وسلوكيات لها علاقة بأنظمة الطرق، مثل شوارع معبدة، وأرصفة، وخطوط مشاة، وإشارات ضوئية، وأخرى معلوماتية، أعمدة كهرباء، وأنظمة مرور، وسلوكيات الحركة في الشوارع. الأطفال يصممون طرقاً وينفذون أفكاراً ويلعبون أدواراً. اليوم أنا والأطفال نلعب ما يشبه المسرح، ونصمم ما يشبه عربتي القديمة، ولكن في شكل جديد، ولأجل هدف جديد.

روضة الأمير النموذجية-كفر عقب

المربية سجدية تشارك في ورشة حول استخدام الظلال في قصص الأطفال، ضمن لقاءات منتديات الطفولة.